خلاصات تعليمية

جائزة حمدان بن راشد آل مكتوم
للأداء التعليمي المتميز

التمكين

حين يتحمّل الطلاب مسؤوليّة تَعَلُّمِهِم

العدد 4
يناير 2018

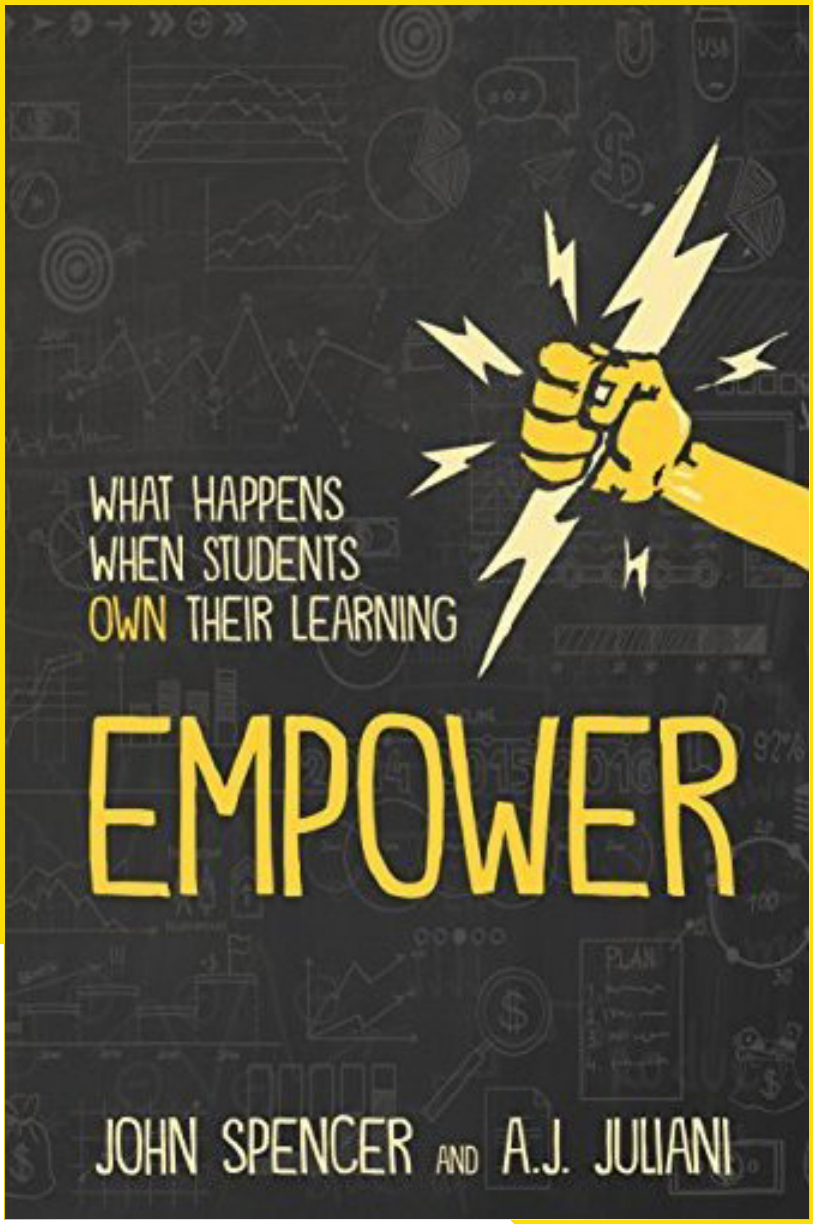

تأليف
جون سبنسر
إيه جيه جولياني

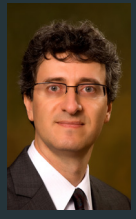

ما قَلَّ ودَّل

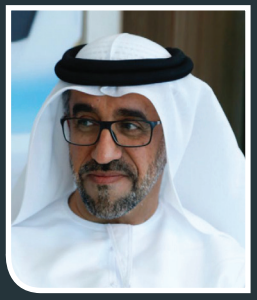

استُخدِم مصطلح «التمكين» باللغة العربية لأوَّل مرَّة قبل ربع قرن تقريباً، وقد تزامن ذلك مع ترجمة كتاب «الإدارة المتحرِّرة» للمفكِّر والمستشار العالمي «توم بيترز». ومن أبرز من تناولوا علاقة «التمكين» بالإبداع في التعليم، هو فيلسوف التربية المعاصر «كين روبنسون» الذي نشرت له «مؤسَّسة محمد بن راشد للمعرفة» كتاب: «حرِّر أفكارك وتعلَّم أسرار الابتكار»، فمفهوم «تمكين» الطلاب يرتبط أساساً بتحرير التعليم من بعض تقاليده التي بدأت مع الثورة الصناعيَّة، وبثِّ روح المبادرة والمسؤوليَّة في الأجيال الصانعة لثورة المعرفة الرقميَّة.

عندما نفكِّر في التعليم، فإنَّ أدواره تبرز وتتقاطع في أذهاننا، لأنَّ للتعليم أربعة أدوار هي: ثقافي، وعماده المعرفة التي تُعمِّق فهمنا للعالم. واجتماعي، وعماده العلاقات التي تؤمِّن لنا الاحترام والتقدير في مؤسَّساتنا ومجتمعاتنا. واقتصادي، وعماده المهارات التي تساعدنا على العمل والإنتاج والمشاركة في التنمية. وشخصي، وعماده الأحاسيس والمواهب المرتبطة بالشغف والحوافز، وتحقِّق لنا الشعور بالسعادة وتقدير الذات والسعي نحو الطموحات.

وكما يقول المؤلِّفان «سبنسر» و«جولياني» اللذان ربطا بين «التمكين» وتحمُّل المسؤوليَّة، فإنَّ الأدوار الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة للتعليم تجعل من حقِّ كلِّ طالب أن يتعلَّم ليكون قادراً على تحمُّل مسؤوليَّاته. ولأنَّ كلَّ طالب يمثِّل لنفسه ولذويه العالم بأسره، فإنَّ تمكينه يُعزِّز علاقاته الاجتماعيَّة ويعمِّق مشاعره، ليُكوِّن نظرةً شاملةً للحياة، وليشعر بالسعادة وهو يلعب دوره الإنساني العام، ودوره الفردي الخاص، الذي يتبلور في تحمُّله لمسؤوليَّاته.

ولأنَّ المقدِّمات تُفضي دائماً إلى نتائج، فإنَّ أهمِّيَّة «التمكين» تنبع بدايةً من الجانبين الشخصي والثقافي، وتقود نهايةً إلى الجانبين الاجتماعي والاقتصادي؛ وبهذا فنحن فعلاً نصنع العالم الذي نعيش فيه، مثلما أنَّ وظائفنا وعوالمنا تصنعنا، وهذا ما يجعل من الحضارة الإنسانية نتاجاً للرؤى والمبادرات الجديدة التي تجاوزت القناعات القديمة وغيَّرتها، فالتمكين في التعليم هو أداة للتغيير والتطوير. ولإدراك القدرات الإبداعيَّة الحقيقيَّة في مدارسنا وفي مجتمعاتنا، يحتاجُ طلابُنا إلى التفكير بشكل مختلف في أنفسهم، وإلى التعامل بشكل مختلف بعضهم مع بعض، وهنا يتجلَّى دور المعلِّمين في نظم التعليم الإيجابيَّة التي تمنح الطلاب حريَّة أن يكونوا أنفسهم؛ وهم يخوضون تجاربهم ويصنعون عوالمهم. وستبقى مثل هذه المهمَّات صعبة على المعلِّمين ما لم تُمكِّنهم استراتيجيَّات وسياسات التعليم من ذلك، وهذه مسألة محوريَّة، لأنَّ التغيُّرات السريعة التي تُواجِهنا كثيرةٌ وبالغةُ التأثير. وليس هناك أقوى من التمكين كفعل إبداعي ومتميِّز ومؤثِّر في قيادة التغيير.

الدكتور/ جمال المهيري
الأمين العام

التجديد الوحيد الذي نريد

إذا كنت أحد خرِّيجي المدارس التقليديَّة، فلا بدَّ أنَّك قضيت جزءاً من تعليمك في حالة استسلام، وأنت تحاول المرور عبر نظام تعليمي مصمَّم لإنتاج طلاب يُنفِّذون كل ما يُطلَب منهم، ولا يحيدون عن تعليمات مدرِّسيهم قيد أنملة. إلا أنَّ التعليم قد تغيَّر اليوم؛ فنحن نعيش في عالم المبادِرين والمبتكِرين والمغامِرين وصنَّاع القرار، بعد أن كنَّا نقضي معظم أوقاتنا داخل المدارس ملتزمين بكل القواعد، ومنتظرين أن يشرح لنا أحدُهم ما يجب أن نفعله، من دون أن يُسمَح لنا باختيار محتوى ما سنتعلَّمه، والطريقة التي نتعلَّم بها، والوقت الذي نتعلَّم فيه؛ حتَّى أنَّنا لم نكن نعرف لماذا يجب أن نتعلَّم.

ليس من الضروري تغيير نظام التعليم برمَّته كي نمنَح الطلابَ تجربة تعلُّم مختلفة، بل يكفي أن نغيِّر شيئاً واحداً فقط؛ وهو أن نتخلَّى عن إجبار الطلاب على الطاعة العمياء، وإكراههم على الانسجام، وقبول كل ما نُمليه عليه من المناهج والمحتوى والأنشطة التي اخترناها لهم، وفرضناها عليهم. ما نحتاجه هو التحوُّل من الإذعان والانسجام الإجباري، إلى تمكين الطلاب ليتحمَّلوا مسؤوليَّاتهم في عمليَّة التعلُّم.

التعليم بالانسجام مقابل التعليم بالتمكين

التعليم في بيئة الانسجام	التعليم في بيئة التمكين
• التركيز على المناهج المفروضة والالتزام بها. • هذا ما يجب عليك أن تتعلَّمه. • إعداد الطلاب لوظائفهم المحتملة. • يحاول المعلِّمون جعل الدراسة مشوِّقة وجذَّابة. • منح الطلاب بعض الخيارات. • اتباع المسار الدراسي المألوف. • تقييم المعلِّمين للطلاب. • أساليب تدريس عامَّة تناسب قدرات كلِّ الطلاب.	• التركيز على اهتمامات الطلاب والالتزام بها. • ما الذي تُحبُّ أن تتعلَّمه؟ • استعداد الطلاب لكلِّ الاحتمالات. • المعلِّمون يجعلون اهتمامات الطلاب مفيدة. • منح الطلاب فرصة للتخيُّل والاستلهام. • الطلاب يرسمون مسارهم الدراسي بأنفسهم. • تقييم الطلاب لعمليَّة التعلُّم بأنفسهم. • أساليب تدريس تناسب قدرات واهتمامات كل طالب.

حقائق حول عمليَّة التعلُّم

1. كل طالب يستحقُّ أن يكون مسؤولاً عن تعلُّمه، وعلى المعلِّمين تمكين الطلاب ليصبحوا قادرين على تحمُّل المسؤوليَّة طيلة حياتهم.
2. كل طالب يمثِّل بالنسبة إلى نفسه وإلى ذويه العالم بأسره، ولذا فإنَّ تمكين الطلاب يُعزِّز روابطنا الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.
3. القصص تؤثِّر فينا بشكل كبير، ويستطيع الطلاب أن يؤلِّفوا قصصهم ويشاركوها مع زملائهم.
4. من واجبك أن تعدَّ طلابك لعالم يستحيل التنبُّؤ به.
5. محو الأميَّة لا يعني تعلُّم القراءة والكتابة، بل محو المعلومات الخاطئة والتعلُّم من جديد بالشكل الصحيح.
6. للمعلِّمين تأثير كبير في حياة طلابهم، والتمكين يعزِّز هذا التأثير.

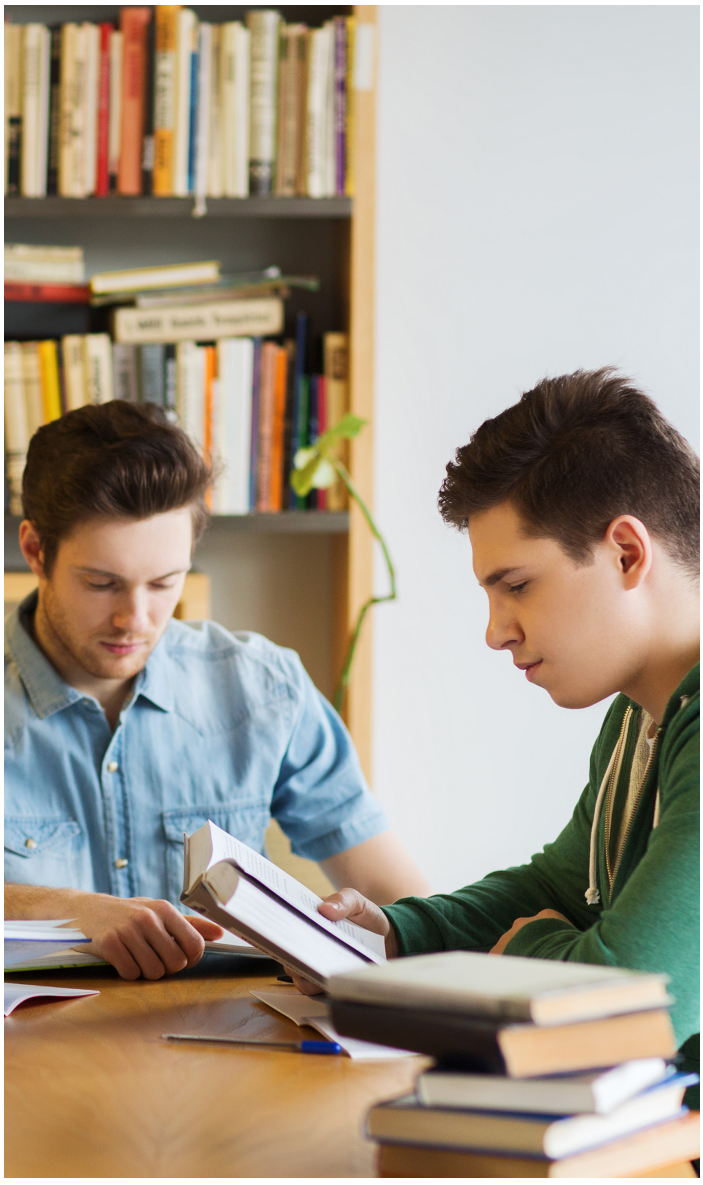

أهمِّيَّة الاختيار

في النظام المدرسي التقليدي يواجه الطلاب نفس المشكلات عاماً بعد آخر، ونادراً ما يُمكَّنون من اختيار مسارهم التعليمي، وهم يتعاملون مع الدراسة بشكل روتيني كما لو كانت «وظيفة»، رغم أنَّها أهم تجربة وأعظم فرصة سيحظون بها طوال حياتهم، ولهذا ينتهي بنا المطاف دائماً بطلاب لا يعرفون شغفهم وعناصر تميُّزهم، فيعيشون مشوَّشين بشأن أهدافهم في الحياة؛ ويقضون اثني عشر عاماً من حياتهم وهم يسيرون في خط مستقيم، وبعد التخرُّج يتورَّطون في وظائف يعتقدون أنَّها «آمنة» و«عمليَّة» و«مناسبة»، رغم أنَّهم لا يشعرون في داخلهم بذلك الرابط القوي الذي يشدُّهم إلى العمل الذي يؤدُّونه.

ولكنَّنا نرى أنَّه يمكن تغيير هذا الوضع إذا منحنا طلابنا حريَّة اختيار المحتوى الذي يحبُّونه، والأنشطة التي يمارسونها داخل وخارج المدرسة، وطريقة التقييم المناسبة لهم، وإذا ما عرفوا أهميَّة العلم الذي يحصِّلونه، فحريَّة الاختيار تجعل الطلاب يتحمَّلون مسؤوليَّة عمليَّة التعلُّم، لأنَّ التمكين يقود إلى تعلُّم حقيقي وجذَّاب وعميق.

غير أنَّ حريَّة الاختيار ليست مطلقة، لأنَّها مرتبطة بالتحدِّي الإيجابي الذي يحمي التعليم من الفوضى. ففي كلِّ حالة تعلُّم لا بدَّ من فهم الأساسيَّات، ثمَّ يقوم الطلاب أنفسهم بعرض المعلومات، أو إعداد ومشاهدة الفيديوهات، وتقديم العروض الشفهيَّة، وإجراء المقابلات، وإعداد الخرائط والرسوم البيانيَّة. وهذا يعني أنَّ التغيير لا يعني التخلُّص من النظام بأكمله، بل يعني التحوُّل من الصرامة إلى الحيويَّة. فحريَّة الاختيار، سواء أكانت مطلقة أم مشروطة، تحفِّز طلابنا نحو التعلُّم بشكل أعمق، وتعيدنا إلى الأسباب التي جعلتنا نحبُّ التعليم أساساً، وتمكِّننا من تحقيق غايات كانت تبدو أحلاماً بعيدة المنال.

> حريَّة الاختيار تولِّد الإحساس بالمسؤوليَّة والاستقلاليَّة، وهي عمليَّة مفيدة حتَّى وإن كانت مشروطة

من المُعلِّم المُرشِد إلى المُعلِّم المُبدِع

يعتمد نموذج المُعلِّم المرشد على توجيه الطلاب عبر المحتوى الدراسي. في عامه الأول كمعلِّم، لعب «آدم» دور المعلِّم المرشد. كان كلُّ درس يشرحه لطلابه يتخذ شكل العرض المُعدِّ مسبقاً والمعلَّب بعناية. دأب «آدم» على تقديم المعلومات لطلابه بأسلوب مسلٍّ، موضِّحاً النقاط التي تستحقُّ اهتمامهم. وكان القليل من الطلاب يطرحون الأسئلة، وحين تكون الظروف مواتية، كانت تدور بعض النقاشات بينه وبينهم، ولكنَّهم لم يخرجوا عن النصِّ أبداً، بل التزموا بالطريق المسيَّج بالمنهج الدراسي، فكانوا كلَّ بضعة أيَّام يتناولون موضوعاً جديداً لتحقيق هدف محدَّد مسبقاً، وحين يشعر الطلابُ بالملل، كان «آدم» يلجأ إلى التسلية، وحين يشعرون بالحيرة، كان يبسِّط الموضوع ويبالغ في التوضيح، ولكن كان جميع الطلاب يسيرون بالاتجاه نفسه وبالسرعة نفسها، لأنَّ «آدم» هو المسؤول الوحيد عن الرحلة. لقد كان «آدم» معلِّماً مرشداً.

ثمَّ تغيَّر كل شيء فجأة، بعد أن جاءت النتائج مخيِّبة للآمال في اختبارات الولاية. بدأ «آدم» يُدرِّس مادة الدراسات الاجتماعيَّة لمدَّة ثلاث ساعات يومياً، ولم تكن هناك خريطة معدَّة مسبقاً للمنهج الدراسي، وبالتالي فقد طرح على طلابه سؤالاً بسيطاً: «ما الذي تريدون أن تفعلوا؟».
بعد مناقشة بسيطة شهدتها قاعة الدراسة، اختار الطلاب مشروع فيلم وثائقي حول الهجرة، وكوَّنوا مجموعات صغيرة لبحث الموضوع، لكنَّهم أفرطوا في النقاش ووقعوا في الفوضى. أعطاهم المعلِّم دروساً مركَّزة حول كيفيَّة إعداد المقابلات، وتصوير الفيديوهات، ورواية القصص الواقعيَّة، ثمَّ ناقش كل طالب على حدة حول كيفيَّة الوصول إلى المصادر الموثوق فيها، وقد تبادلوا السيناريوهات وجمعوها في ورقة عمل واحدة.

إلا إنَّ الأمور لم تسِر كما ينبغي، فبعض الطلاب لم يُتمُّوا الأجزاء الخاصة بهم. ولم يعرض «آدم» وطلابُه هذا المشروع خارج الفصل الدراسي، فشعر بعض الطلاب المتميِّزين بالخوف والإحباط لأنَّهم لم يفشلوا من قبل، ورغم ذلك لاحظ المعلِّم أنَّ شيئاً ما قد انبثق من هذه الفوضى، فقد اختلف أسلوب بعض الطلاب في التعامل مع الموقف، وبدأ الطلاب الذين لم يسبق لهم تسليم واجباتهم المدرسيَّة في التطوُّع وتصوير فيديوهات حول المهاجرين في أحيائهم، وبدأ الطلاب الصامتون يطرحون أسئلة قويَّة في المقابلات الشخصيَّة، وبدأ الطلاب الذين سبق وسَمْتُهُم بصفة «غير المبدعين» يُعدُّون القصص ويُصوِّرون الفيديوهات، واتفق الجميع على التعاون والعمل كفريق لإعداد فيلم وثائقي أكبر وأشمل.

لقد تغيَّر كل شيء، فعندما عاش الطلاب لحظة التمكين، باتوا متحمِّسين، وشغوفين، ومبدعين. كلُّ ما احتاجه الطلاب هو حريَّة التفكير والحقُّ في الخروج عن المسار التقليدي وتحمُّل المسؤوليَّة، ورغم ما صادفوه من عقبات، شعروا بأنَّ التجربة كانت رائعة واستثنائيَّة.

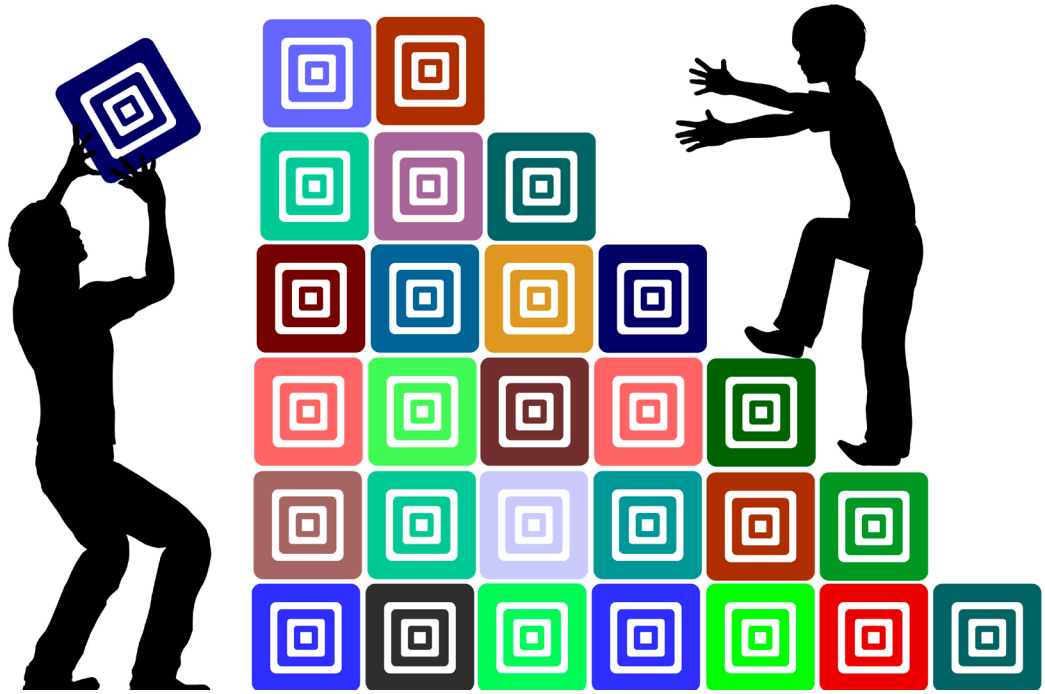

حين يتحمَّل الطلاب مسؤوليَّة التعلُّم

- يقرِّرون وجهتهم بأنفسهم: فبدلاً من اتباع المسارات الجامدة، اترك الطلاب يكتشفوا المحتوى ويختاروا الموضوعات استناداً إلى ما يتحمَّسون إليه.
- يطرحون الأسئلة: فبدلاً من الإجابة عن أسئلة معدَّة سلفاً، يطرح الطلاب الأسئلة مدفوعين بفضولهم.
- يعملون بالسرعة التي تتلاءم مع قدراتهم.
- يختارون أدواتهم بأنفسهم.
- يضعون ويسعون إلى تحقيق أهداف التعلُّم التي تخصُّهم أكثر من غيرها ومن غيرهم.

تتعلَّق المسؤوليَّة الطلابيَّة بتحوُّل الطلاب من العقليَّة المُذعِنة والسلبيَّة، إلى العقليَّة المبادِرة والقياديَّة

المُتعلِّم المبادِر

نحن جميعاً نعرف أنَّ طلابنا الحاليين سيعملون في المستقبل في وظائف لا وجود لها الآن، والحقيقة هي أنَّ هؤلاء الطلاب هم الذين سيخلقون تلك الوظائف، فكلُّ إنسان سيواجه في يوم من الأيام تحدِّياً مختلفاً عن تحدِّيات الآخرين، وسيجد نفسه أمام خيارات عدَّة: إمَّا أن يستسلم للواقع أو يغيِّره، وإمَّا أن يبحث عن فرصة عمل جاهزة قد لا تناسبه، أو يفكِّر كرائد أعمال ومبادِر ليحقِّق النجاح في عالم يتغيَّر. قد لا يبني كلُّ طلاب اليوم مؤسَّسات جديدة، ولكن سيكون عليهم ابتكار وظائف جديدة وتغيير وظائف اليوم وفقاً لمتطلَّبات الغد، وهذا يعني أنَّهم بحاجة إلى مهارات لا يعرفونها ولم يتدرَّبوا عليها بعد.

لقد بادرنا ونحن نؤلِّف هذا الكتاب إلى إجراء مقابلات في كثير من التخصُّصات، ودأبنا في كلِّ مقابلة على طرح السؤالين التاليين: «ما الذي كنت تتمنَّى أن تتعلَّمه في المدرسة؟»، و«ما المهارات المطلوبة لنجاحك كمبادِر؟» ومع استغراقنا في الدراسة، أدركنا أنَّ الأمر لا يتعلَّق بالمهارات القابلة للتحويل والتطوير، بقدر ما يتعلَّق بالعقليَّة وأسلوب التفكير. وفي هذه المرحلة بدأنا نطرح السؤال التالي: «ما الذي يعنيه أن تفكِّر بأسلوب المبادِر؟»، فكانت معظم الإجابات تؤكِّد أنَّ المبادِر هو من يبدأ أولاً ومن تلقاء نفسه؛ فالمبادرون يتميَّزون، ولا ينتظرون دورهم، بل يبدؤون ويحوِّلون الأفكار إلى خطط، ويترجمون الخطط إلى مشروعات، لأنَّهم يضعون قواعدهم بأنفسهم، ورغم أنَّهم يخافون مثل غيرهم من البشر، فإنَّ ثقتهم بأنفسهم تفوق خوفهم من الفشل.

وهناك جانب مهم قد نتجاهله عندما يتعلَّق الأمر بالمبادرة، وهو أهمِّيَّة إدارة الذات والتحكُّم بالانفعالات عندما تدقُّ ساعة العمل وتدور العجلة، فإذا كانت المبادرة تتعلَّق بإشعال فتيل الابتكار وعدم الخوف من الفشل أو الفوضى، فإنَّ إدارة الذات تتعلَّق بالالتزام بالمواعيد وضبط إيقاع العمل، وتحويل الروتين من عدو إلى صديق. وكل هذا يؤكِّد أهميَّة تمكين الطلاب من إدارة أنفسهم. من المهمِّ أن يصبح الطلاب مبادرين، بل وقادة في المرحلة الدراسيَّة، وقبل دخول الحياة العمليَّة، فعندما نستخدم مصطلح «التعلُّم الذاتي» فإنَّنا نصف كلاً من أسلوب التفكير والمبادرة وإدارة الذات.

تشجيع الطلاب على المبادرة

1. **ألهِم طلابك**، سيبادِر الطلاب حين يهتمُّون ويواجهون بعض التحدِّيات، وعليك هنا معرفة اهتماماتهم وشغفهم وإتاحة المادة التعليميَّة ليشعر الطلاب بأنَّهم قادرون على تحمُّل مسؤوليَّة التعلُّم بأنفسهم.
2. **وفِّر فرص المبادرة**، خصِّص وقتاً حراً يستطيع الطلاب خلاله تعلُّم ما يريدون في أثناء اليوم المفتوح، أو ساعة الدراسة الأسبوعيَّة الحرَّة، أو وقت العمل على مشروعاتهم، على أن يختاروا الأسلوب والموضوع والصيغة التي تناسبهم.
3. **وفِّر الأدوات اللازمة**، يقول «إبراهام ماسلو»: «عندما تكون أداتك مطرقة، سترى كلَّ ما حولك مسامير»، وبالمثل سيستخدم الطلاب تلقائياً ما يتوفَّر لهم من أدوات، وستجدهم يبادرون ويبنون ويصنعون أشياءَ كنَّا نراها مستحيلة، أو لم نفكِّر فيها من قبل.
4. **شجِّعهم على المخاطرة والإبداع**، الخوف هو أعظم الحواجز التي تحول دون المبادرة والتعلُّم الذاتي. هناك الخوف من الفشل، ومن عدم فعل الأشياء بالشكل الصحيح، أو من عدم نيل إعجاب الآخرين. لقد أثبتت تجاربنا أنَّ الطلاب دائماً جاهزون لتجريب شيء ما، أو أداء عمل قديم بطريقة جديدة، لكنَّهم قد يتلكَّؤون انتظاراً للضوء الأخضر، ويتجلَّى دورك هنا كمعلِّم، بتأكيد أنَّ المخاطرة والإبداع رفيقان، حتَّى ليمكننا تسمية هذه الحالة الشعوريَّة «المخاطرة الإبداعيَّة».
5. **كن نموذجاً يحتذى**، وضِّح لطلابك أنَّك أنت أيضاً لا تكفُّ عن التعلُّم. فإذا كنت تفكِّر في كتابة رواية أو تقرأ كتاباً جديداً، شاركهم تجربتك وتحدِّياتك أيضاً.
6. **حفِّزهم وادعمهم معنوياً**، حين تجدهم يتحمَّلون المسؤوليَّة ويبادرون للتعلُّم، تحدَّث مع ذويهم وبقيَّة معلِّميهم .
7. **ادمجهم في المجتمع**، بالنسبة إلى الطلاب الأكبر سناً، قد يعني ذلك توفير فرص تدريبيَّة أو استضافة محاضرين معروفين، وبالنسبة إلى الطلاب الأصغر سناً، فهذا يعني مساعدة أولياء أمورهم في توفير أماكن مناسبة لهم ليمارسوا هواياتهم.

التعلُّم المبادِر وإدارة الذات

يتمثَّل الجانب الثاني من التفكير المبادِر في إدارة الذات التي تشمل وضع الخطط ومواصلة أداء المهمَّات حتَّى وإن لم يكن هناك من يراقبك.

1. تحديد الأهداف ومراقبة تقدُّمك

تبدأ إدارة الذات بالإحساس والوعي بما يجب أن تفعله، وبتحديد الاتجاه، وكل ما تخطِّط لتنفيذه. الطلاب الذين يتمتَّعون بهذا الحسِّ الواعي يدركون أبعاد ما يفعلونه، ولماذا يفعلونه أيضاً. وبحسِّهم القوي تجاه ما يفعلون وإلى أين سيذهبون، يحدِّدون أهدافهم. قد تكون تلك الأهداف تعليميَّة أو تتعلَّق بمشروعاتهم. بعد ذلك يراقب الطلاب تقدُّمهم، ويُمعِنون النظر في أدائهم وما عليهم أن يفعلوا لمواصلة تحسين الأداء.

2. تقسيم المهمَّات وتحديد المواعيد

يستطيع المُبادِرون تحمُّل مسؤوليَّة مهمَّة كُبرى، وتقسيمها إلى مهمَّات صغرى، وتحديد الموعد النهائي لإنجازها، وهم يفكِّرون بشكل واقعي فيما يحتاجون إليه من وقت وموارد وإجراءات. وهذا جزء محوري من عمليَّة إدارة أي مشروع، الأمر الذي يتطلَّب أن يرى الطلابُ الصورةَ الكاملة، والتفاصيل، والعلاقات المعقَّدة بينهما.

3. حلُّ المشكلات والتفكير المرن

مهما كانت المهمَّات ومواعيد التسليم واضحة، فإنَّ الأمور لن تسير وفق الخطط الموضوعة ولن تكون على ما يرام دائماً، فالحياة بطبيعتها متغيِّرة والظروف متقلِّبة، وسيكون على الطلاب مواجهة المشكلات وحلُّها، وابتكار بدائل ذكيَّة لكلِّ موقف، وهذا هو أصعب ما يواجه منظومة التعليم المتمحور حول الطالب، ولكن حين يستطيع الطلاب التعامل مع هذه التحدِّيات، فإنَّهم ينضجون بسرعة أكثر ممَّا نتوقَّع كمعلِّمين وواضعي سياسات ومناهج، لأنَّهم يصبحون قادرين على حلِّ المشكلات والتفكير النقدي.

4. اختيار الاستراتيجيَّات

يستطيع الطلاب المستقلُّون من خلال إدارة الذات تحديد الاستراتيجيَّات الضروريَّة لإنجاز مهمَّاتهم. بإمكانهم أن يختاروا الموارد والمواد اللازمة وأسلوب التنفيذ المُناسب. فحين يجرون أبحاثهم؛ يمكنهم المفاضلة بين استخدام بطاقات الملاحظات أو برنامج إكسل، وعند تنفيذ أي مشروع لإدارة العمليَّات والمهمَّات باستخدام مفكِّرة تقليديَّة، أو نظام إلكتروني لإدارة المشروعات، وهم حين يفعلون ذلك، يستندون إلى وعيهم وبحثهم وقراراتهم وليس إلى توصيات معلِّميهم وموجِّهيهم.

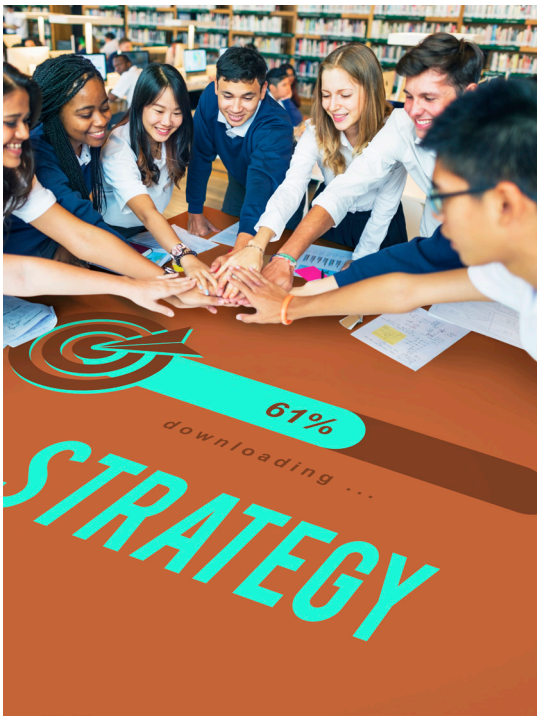

> يحتاج الطلاب دائماً إلى أن يبدؤوا عمليَّة التعلُّم من تلقاء أنفسهم

التنفيذ الميداني

كما لا يمكنك تعلُّم قيادة الدرَّاجة داخل غرفة الصف، لا يمكن تعليم مهارات الحياة العمليَّة للطلاب في المحاضرات النظريَّة. لترسيخ روح المبادرة، يجب أن يعمل الطلاب على مشروعات حقيقيَّة تستحوذ على اهتمامهم، وتحفِّزهم وتتحدَّاهم لتحمُّل المسؤوليَّة، في إطار العمليَّة الإبداعيَّة وأسلوب عمل كلٍّ منهم.

الطلاب مبتكرون بطبعهم

الصانعون المُبدِعون يتسمون بالتجريب والمخاطرة الإبداعيَّة، ولأنَّهم يفكِّرون بأسلوب مختلف، فإنَّ النجاح يكون حليفَهم في معظم الأحيان، ومقارنةً بغيرهم من الأذكياء غير المبتكرين والمجرِّبين. ولأنَّ الابتكار بحاجة إلى هدف ومعنى، فإنَّه يرتبط بالفضول، والاعتقاد بأنَّ هناك دائماً أسلوباً أفضل لإنجاز كل مهمَّة. ومن هذه العقليَّة الفضوليَّة ينبثق التجريب والمخاطرة الإبداعيَّة ورؤية ما سيحدث، كما ينطلق التجريب بدافعيَّة أعمق عندما نسأل: «ولم لا؟» فنتحدَّى الوضع الراهن حين نرى المشكلات، فيفور العزمُ في داخلنا لنَحلَّها.

امتلاك ناصية الإبداع

عليك في لحظة ما أن تقول لطلابك: «يجب أن تفعلوا هذا». نحن نُدرك أنَّ العمل الإبداعي كثيراً ما يتسم بالبطء، وهذا مطلوب ومرغوب لنمنح عقولنا فرصة الاستطلاع، والتجوُّل في حقول الأفكار، وتجربة الخيارات قبل تصميم الحل. العمل الإبداعي أيضاً يتطلَّب بنيةً هيكليَّة تتضمن إطاراً للإبداع وخريطة طريق تساعد الطلاب على اكتشاف الطرق السالكة مهما طالت وتشعَّبت، ولكنَّ الهياكل ونظم التوجيه وتصحيح المسارات لا تُعفي الطلاب من اتخاذ القرارات، ومن هنا تبرز أهميَّة التفكير التصميمي الخلاق الذي يمكِّن الطلاب من توسيع دوائر مسؤوليَّاتهم.

التفكير الخلاق ودورة الإطلاق

التفكير التصميمي الخلاق منهجيَّة إبداعيَّة تُعنَى بالعمل الذي نؤدِّيه الآن، وتصمَّم هذه العمليَّة لتعزيز الإبداع وإطلاق الطاقات الابتكاريَّة الكامنة في داخل كلِّ طالب، أمَّا دورة الإطلاق فهي أداة عمليَّة تُحوِّل الفكر التصميمي من أساس ننطلق منه، إلى عمليَّة منهجيَّة نعمل وفقاً لها ونلتزمُ بخطواتها التالية:

أولاً: انظر واستمع وادرس

في البداية؛ ينظر الطلاب، ويستمعون، ويتأمَّلون بهدف ترسيخ الوعي النابع من شعورهم بالدهشة والإثارة، ومن ثمَّ إدراك المشكلة والتعاطف مع من يعانون منها، وفي هذا اللحظة ترتكز العمليَّة الإبداعيَّة على مُدرَكات الطلاب وتوظِّف أسئلتهم وإحساسهم بالدهشة ومعايشتهم للموقف.

ثانياً: طرح الأسئلة

من منطلق الفضول، ينتقل الطلاب إلى المرحلة الثانية فيطرحون عشرات الأسئلة المتعلِّقة بعمليَّة أو نظام أو ظاهرة طبيعيَّة أو سلوك اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي، فينخرطون في عمليَّة أو حالة استفساريَّة داخليَّة مُنطلقة باتجاه البيئة الخارجيَّة.

ثالثاً: فهم المشكلة

لا يتمُّ فهم المشكلة ورؤية أبعادها إلا من خلال

التجريب والبحث العميق، حيث يُجري الطُلاب المقابلات الشخصيَّة، ويقيمون الاحتياجات، ويكتبون المقالات ويُسجِّلون الملاحظات، ويحلِّلون البيانات. وتتمحور كل هذه النشاطات حول اختيارات الطلاب، ليحدِّدوا الموارد التي سيعتمدون عليها، ويستخدموا الاستراتيجيَّات والخطط التنفيذيَّة الناجعة.

رابعاً: تطبيق الأفكار

وهنا يُطبِّق الطلاب المعرفة التي اكتسبوها على الحلول الممكنة، فيقارنون الأفكار التصميميَّة، ويقترحون أفكاراً جديدة، ثمَّ يحلِّلونها لتوليد مفاهيم فريدة تتطابق مع إحساسهم المبدئي بالمشكلة، وتعكس معرفتَهم وشغفَهم وتصميمَهم لما سيصنعونه.

خامساً: إنشاء النموذج المبدئي

في هذه المرحلة يصنع أو لنقل «يُبدِع» الطلاب نموذجاً أولياً، قد يأتي على شكل برنامج أو حل رقمي، أو منتج مادي ملموس، أو عمل فني، أو أي تصميم يُلبِّي حاجة، ويحلُّ مشكلة، ثمَّ يقومون بتوثيق ووصف ما تمَّ صنعه، والكيفيَّة التي أبدعوه بها.

سادساً: المراجعة والإصلاح والتحسين

من المهمِّ هنا أن ننظر إلى عمليَّة المراجعة كتجربة حافلة بالتكرار، وإعادة المحاولة ومواصلة التجريب، لأنَّ كلَّ خطأ يتمُّ اكتشافه يُقرِّب الطلاب من النجاح، بعد أن ينخرطوا في عمليَّة للتقييم الذاتي، وتقييم أعضاء فريقهم، قبل أن يلتقوا مُعلِّمَهم ويعرضوا نتاجهم الإبداعي.

العرض على الجمهور

في مرحلة الإطلاق يُرسِل الطلابُ ابتكاراتهم إلى جمهورهم الحقيقي، ويشاركون المستخدمين النهائيين ما أبدعوا صنعه. ومع مرور الوقت، تنمو ثقتُهم الابتكاريَّة، ويدركون مدى تأثير بصماتهم الإبداعيَّة في تغيير العالم.

التقييم يحقِّق التمكين

التقييم عمليَّة طبيعيَّة وتلقائيَّة تحدث معنا ولنا وبنا؛ شئنا أم أبينا. فنحن نُخضِع عملنا وعمل الآخرين للتقييم، مثلما يَخضَع عملُنا لتقييم غيرنا، فالتقييم عمليَّة مستمرَّة تحدث للتجريب أحياناً، ولتأكيد الجودة أحياناً أخرى، لكنَّ التقييم يختلف عن إصدار الأحكام، لأنَّه حلقة نستكمل بها عمليَّة التمكين الذاتي، ويُمكِّننا بها الآخرون حين يُحمِّلوننا مسؤوليَّة النتائج والمخرجات، ممَّا يجعل التقييم عنصراً محورياً وجوهرياً في العمل والحياة، ولأنَّه من الصعب أن نتوقَّف ونحن نهبط بالمظلَّة أو نشارك في سباق للسيَّارات، لنقيِّم أداءنا وجودة منتجاتنا، فإنَّنا نختبر أدواتنا بقياس إنجازاتنا في نهاية عملنا، فكيف نجعل التقييم محوراً فاعلاً في حياتنا الواقعيَّة، ليكون جوهرياً وأصيلاً وواعياً وممتعاً؟ وكيف نجعله يبدو جزءاً من الحياة وليس مجرَّد عنصر أو جزء من عمليَّة التعلُّم؟ وتكمن الإجابة في امتلاك الطلاب لزمام المبادرة والتمكُّن من إدارة الأمور، فحين يتولَّى الطلاب مسؤوليَّاتهم ويقيِّمون ذواتَهم وتجاربهم، فإنَّهم يختبرون أنفسهم، ويكتشفون التالي:

- ما يعرفونه بالفعل: «معلوماتهم المسبقة».
- ما لا يعرفونه: «ما عليهم تكراره وتحسينه».
- ما يرغبون في إتقانه: «أهدافهم وطموحاتهم».
- ما سيفعلونه للتحسين والتميُّز: «خططهم وإجراءاتهم».

ولأنَّ التقييم عمليَّة تشاركيَّة، فإنَّ التمكين يَقضِي بالتحوُّل من التقييم الموجَّه من قِبَل المعلِّمين، إلى التقييم الذاتي من قِبَل الطلاب، مع الإفادة الراجعة الدائمة من الأقران والمعلِّمين والمشرفين. وفي هذه المرحلة يتحوَّل الطلاب من اتكاليِّين يعتمدون على الآخرين، ومن مستقلِّين أو انفراديِّين، إلى تشاركيِّين إيجابيِّين، من خلال الاعتماد المُتبادَل فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين معلِّميهم من جهة أخرى.

تقييم الذات

يقيِّم الطلاب عمليَّة التعلُّم من خلال:

1. **تتبُّع الأهداف:** وهنا يُحدِّد الطلابُ أهدافهم بأنفسهم، ويقيسون مدى تقدُّمهم، وهذا قد يشمل إعداد رسم بياني ووضع مقياس يصف ويشرح هذا التقدُّم.
2. **الاستبطان:** حيث يُجيب الطلاب عن أسئلتهم الذاتيَّة والتأمُّليَّة المنعكسة من إحساسهم بما يتعلَّمونه، والعقبات التي تواجههم، والخطوات التالية التي عليهم اتخاذها.
3. **قوائم المراجعة:** يمكن للطلاب استخدام قائمة تدقيق لقياس تطوُّر مشروعاتهم، ونماذج تقييم مُعدَّة مسبقاً لتسهيل استيعاب كلِّ العمليَّات. ويُفضَّل هنا أن يساعد المعلِّم طلابه في عمليَّة المراجعة استناداً إلى معيار يتمُّ شرحه والاتفاق عليه في الحصص الدراسيَّة.

تقييم الأقران

من المهمِّ أن نرى الصورة من منظور مختلف، لأنَّ لكل إنسان زاوية رؤية عمياء تحرمه من ملاحظة الكثير من التفاصيل الأساسيَّة التي يراها غيره، ولهذا فإنَّ تقييم الزملاء والأقران يساعدنا على رؤية الأمور من أي منظور يلتبس علينا، وينكشف لغيرنا.

التقييم المُرَكَّز في عشر دقائق

الوقت	الوصف	الشريك أ	الشريك ب
0-2	وصف مُقنِع	قدم وصفاً موجزاً لفكرتك أو خطتك أو منتجك	استمع
2-4	الشرح والتوضيح	أجب عن الأسئلة الاستيضاحية	اطرح أسئلة توضيحية
4-6	الآراء والتعليقات	استمع للآراء والمداخلات من دون مقاطعة	تفاعل بتعليقات جوهرية وإيجابية
6-8	إعادة الصياغة	أعد صياغة ما سمعت كما فهمت	استمع واشرح
8-10	الخطوات التالية	حدد الخطوات التالية	شارك في بلورة الخطوات التالية

تعظيم دور المعلِّم

في هذه المرحلة، يتعاظم دور المعلِّمين في تمكين الطلاب من خلال تقييم مشروعاتهم، وقدرتهم على تقييم أقرانهم، وتجرى هذه التقييمات عادةً داخل الصفوف الدراسيَّة، واللقاءات الإرشاديَّة الخاصَّة مع كلِّ طالب على حدة، ولكن داخل الصفوف وعلى مرأى ومسمع من جميع الطلاب، وعلى مدى عمر المشروع، يتمُّ تكرار هذه اللقاءات التوجيهيَّة بحيث يحصل كلُّ طالب على إفادة إرشاديَّة كلَّ أسبوعين على الأقل، وبهذا ينتقل من تعليم ذي اتجاه واحد، إلى تعلُّم تفاعلي وتشاركي يبدأ بالطلاب، وينتهي بالمعلِّمين.

الفرق بين الإخفاق والفشل

حين نجرِّب شيئاً ولا يفلح، فإنَّنا نشعر بالحيرة والارتباك، وقد نحزم أمرنا ونواصل مساعينا. ومن المهمِّ أن نُفرِّق الآن بين الفشل والإخفاق. الفشل هزيمة دائمة وحاسمة، أمَّا الإخفاق فهو موقف ذهني مؤقَّت يمكننا تجاوزه والالتفاف حوله. تمكيننا لطلابنا يُحصِّنهم ضد الفشل، ويحدوهم للعودة وتكرار المحاولة، وتكرار المحاولة يعني تحويل الإخفاق إلى نجاح، وتمتين مناعة الطلاب ضد الفشل، وما يهمُّنا في تغيير المصطلح والفرق بين المفهومين، هو التحوُّل الذهني لمفاهيم الطلاب أنفسهم، واقتناعهم الذاتي بأنَّ النجاح شخصي لا نفسي، فما نعيشه نؤمن به، وما نؤمن به نسلكه؛ أي نُحوِّله إلى سلوكيَّات وعادات وقِيَم راسخة.

قوانين التمكين

1. تمكين الطلاب يعني منحهم المعرفة والمهارات التي تمكِّنهم من معايشة شغفهم وممارسة اهتماماتهم وصنع مستقبلهم.
2. لا تقتصر مهمَّتنا كمعلِّمين وآباء وقادة على إعداد أبنائنا لإنجاز «شيء ما»، بل تشمل مساعدتَهم ليستعدُّوا لكلِّ الاحتمالات، ولما هو ممكن.
3. امتلاك الطلاب حريَّة الاختيار يشبه إمساكهم بزمام عمليَّة التعلُّم، ليشعروا بالتمكين وينعموا بحريَّة الإبداع.
4. الأهمُّ من منح الطلاب خريطة طريق هو تركهم يرسمون خرائطهم بأنفسهم.
5. امتلاك الطلاب لزمام عمليَّة التعلُّم يمثِّل تحوُّلاً من العقليَّة المُذعنة إلى العقليَّة المستقلَّة والتشاركيَّة.
6. في داخل كلِّ طالب عبقري ومبتكر مبدع.
7. لتمكين طلابنا من ابتكار المستقبل، يجب أن نحمِّلهم مسؤوليَّة عمليَّة التعلُّم من الآن.
8. يمكن لأيِّ عمليَّة تقييم أن تتمَّ بأسلوب لطيف ومرن، لكنَّها لن تحظى بالمصداقيَّة ما لم يتولَّها الطلاب بأنفسهم.
9. يجب تأهيل النظام ليتناسب مع الطلاب، بدلاً من تأهُّل الطلاب ليناسبوا النظام.
10. القصص تُلهِم وتمكِّن الطلاب جميعاً، أمَّا قصص الطلاب أنفسهم، فتعيد صياغة رؤاهم وتستدعي لهم مستقبلاً فريداً.

متوسِّط اللاشيء

مدارسنا غارقةٌ في نظام المتوسِّطات، مثل: ما الذي يجب أن يعرفه الطالب المتوسِّط؟ كم من الوقت يحتاج الطالب المتوسِّط ليتعلَّم ذلك؟ ما المجهود المطلوب من الطالب المتوسِّط لإنجاز هذا المشروع؟

والمشكلة هنا هي أنَّنا لا نُعلِّم الطلاب المتوسِّطين فقط، وليس في العالم طالب متوسِّط واحد، فكلُّ طالب عالَمٌ قائمٌ بذاته، وهو يختلف عن كلِّ المتوسِّطين والاستثنائيِّين والضعفاء، ولذا فإنَّ التدريس الموجَّه إلى المتوسِّطين، لا يناسب أي طالب. فماذا لو كانت دروسنا ومشروعاتُنا وواجباتنا قابلة للتعديل؟ وماذا لو صارت قواعدنا وإجراءاتنا أكثر مرونة؟ وماذا لو فصَّلنا نظم التدريس لتناسب الطلاب بدلاً من تعديل عقول الطلاب لتناسب النظام؟ وكيف يمكن للنظام المرن أن يكون عملياً وسلساً؟ وكيف يمكن للطالب تكييف النظام ليفي باحتياجاته؟

أولاً: لندع الطلاب ينشِئوا مشروعاتهم بحريَّة واستقلاليَّة، ويختارون الطرق الملائمة لتنفيذها، ونخلِّصهم من الواجبات المنزليَّة المفروضة سلفاً، والسماح لهم بزيادة الواجبات وتقليصها تبعاً لاحتياجاتهم ورغباتهم.

ثانياً: لنشجِّعهم على اختيار المهارات التي يريدون تعلُّمها بأنفسهم، وبدلاً من الاستمرار في تعلُّم ما يعرفونه بالفعل، نمكِّنهم من تكريس المزيد من الوقت لممارسة المهارات التي يتعثَّرون فيها ويعانون منها.

ثالثاً: لنتركهم يختاروا الأساليب التي تتناسب أكثر مع عمليَّة التعلُّم الملائمة لكلٍّ منهم.

التعليم قصَّة لا تنتهي فصولها

هل لاحظت من قبل أنَّ لكلِّ فصل دراسي قصَّة، فنحن نعيش ونتعلَّم ونأكل ونتواصل مع طلابنا عشرة أشهر تقريباً من كلِّ عام. نشاهدهم وهم يخفقون، ونفتخر بهم عندما يتفوَّقون. وحين يوشك العام الدراسي على الانقضاء، يكون الوقت قد حان لتكتب قصَّة فصلك الدراسي. ولأنَّ كلَّ قاعة صفيَّة تختلف عن غيرها، فإنَّ لكلِّ فصل مدرسي قصَّة ذات نهاية مختلفة، ففي كلِّ قصَّة شخصيَّة تواجه مشكلة، وشخصيَّة تستعين بمرشد، والنهايات دائماً مفتوحة، معظمها كوميديَّة، وبعضها تراجيديَّة.

الإبداع في إعداد القصص الصفيَّة

كتربويين، نحن مدعوون دائماً للقيام بعمل ثنائي الأبعاد والاتجاه: التعليم والتعلُّم. نحن ندفع طلابنا للتعلم ونتحدَّاهم، ثمَّ ندعَمهم ونرشدهم. وكثيراً ما نتوه وتتعثَّر خطانا، في مطحنة اليوم الدراسي والفصل الدراسي والعام الدراسي، ولهذا يشعر العديد من المعلِّمين بأنَّهم مستنزفون، بينما يتذمَّر الطلاب - حتَّى المتفوِّقين منهم - من المدرسة ونظامها ومناهجها وصرامتها وعدم مرونتها.

أمَّا إذا اعتبرنا كلَّ عام دراسي رحلة لا تنتهي، بل تقودنا كلَّ عام إلى رحلات جديدة، فإنَّ أسلوب عملنا وطرق تفكيرنا ستتغيَّر؛ من التعامل مع المطحنة، إلى إعداد وكتابة قصص وروايات التمكين الممكنة. وهذه جزئيَّة لا يلتفت إليها، في الغالب، الكثير من المعلِّمين.

في بعض الأحيان، لا تكون الشخصيَّة المحوريَّة للقصَّة هي الطلاب، فقد يلعب المعلِّم دور البطولة في بعض القصص المدرسيَّة. فإذا نظرنا - كمعلِّمين - إلى قصص فصولنا باعتبارها رحلات مشتركة، نلعب خلالها دوراً حيوياً، فسنكون في هذه الحالة أكثر من مجرَّد مرشدين أو مشاهدين أو لاعبين ثانويين أو ممثِّلين مساعدين، فنحن في هذه الحالة مثل مرشدي الرحلات السياحيَّة. سنكون مشاركين فاعلين في هذه المغامرة، فنتعلَّم بنفس القدر الذي يتعلَّم به طلابنا على امتداد سنواتهم الدراسيَّة.

ما لا يمكننا تجاهله

المشروعات تأتي وتذهب، والتكنولوجيا تتغيَّر، والأفكار تظهر وتتلاشى، ويبقى هناك شيء واحد لا يمكن تغييره أو تجاهله؛ وهو أسلوب التفكير الذي يُنمِّيه ويستخدمه الطلابُ حين يعتبرون أنفسهم مبتكرين وصانعين، وحين يحدث ذلك، فإنَّ حياتهم تتغيَّر، والعالم بأسره يتغيَّر، فيصبح عالمهم وعالمنا أفضل، وهذه هي دعوتنا لكم للإمعان بالابتكار، فأعيدوا صياغة القواعد، واتركوا طلابنا يقودوا حياتهم، ويديروا عمليات تعلُّمهم بأنفسهم، وغيِّروا العالم!

جائزة حمدان بن راشد آل مكتوم
للأداء التعليمي المتميز

رقم الهاتف: 45013333 971+
رقم الفاكس: 45013300 971+

صندوق البريد: 88088
البريد الإلكتروني: info@ha.ae